

الخميس 2008-05-15

258-أمم فتلما فنة نقاشة

"نص على نص!!"

النص: "حلم 55" اللحن الأساسي

تخدم المناقشة بين امرأة ورجل وأبنائها الخمسة حول حق الأم التي تجاوزت الستين في الحب والحياة. وتخطت المناقشة الأسوار فصارت حديث الجيران.

يقول البعض إنه حب زائف من عجوز وشاب في سن أبنائها طمعا في المال الذي ورثته عن زوجها. ويقول البعض إنه ليس للإنسان إلا ما يقدر له من الحياة والحب خاصة حتى ولو أدى ذلك إلى دفع الثمن باهظا. وبدا الأمر في نظر الشبان الخمسة مصيبة لها، وكان من قتل الأم البائسة ووقف الأبناء الخمسة في قفص الاتهام. وتوزعت التهمة عليهم من التنفيذ للمشاركة للتخطيط.

وكان التحقيق فيها والمرافعات حامية إذ كانت مفرداتها الأمومة والبر والشرف والسمعة والتقاليد ومازلت أذكر وجوههم وأقوالهم كما لازلت أذكر المرحومة أيام كانت تتحدى العمر والألسنة، وتسير متبرجة تتبختر.

تقاسيم على اللحن الأساسي

.... ثم أجد نفسي خارجا من مسجد سيدي عبد الرحيم القناوي، لأكتشف أن الخذاء الذي التقطته ليس حذائي، أتلفت حولي فإذا مجذائي يمك به آخر، ولدقة الشبه شككت في نفسي وخجلت أن ألفت نظره، لكن على الباب لم يدخل الخذاء في رجلي، فنبهته فابتسم، وتبادلنا الأحذية والاعتذارات.

هذا الوجه أعرفه، لكن الجبة المخططة والقفطان الزاهي كادا يجفيا عنه، ثم لماذا هو حاسر الرأس فاحم الشعر هكذا بما لا يتماشي مع الجبة والقفطان اللذان لولا جدتهما لحسبتهما لأبيه الذي يذكرني به شبهه، هو شاب فاحم سواد الشعر وقد جففه بما لعه ولواه في حلقات مثل شبان هذه الأيام، لا شك أنه هو إذ يكاد يكون صورة طبق الأصل من أبيه الذي مات منذ خمس عشرة سنة قبل الحادث .

اكتشفنا أن وجهتنا واحدة وهى السوق القديم، سرنا إليه معا ونحن نتقارب في حذر، وتبادلنا الحديث حتى تشجعت وسألته عن أبيه فقال تعيش انت منذ أكثر من عشر سنوات، فتأكدت أنه هو، وزاد حرجي فلم أجرؤ أن أسأله عن إخوته فقد حضرتني قضية أهم وما كان بشأنها وشأنهم.

أما عن سبب مجيئه هنا فقد حكى لي دون أن أسأله أنه يمر بأزمة منذ زواجه، وأنهم أرشدوه علي عنوان امرأة هنا تفك الأعمال وأشياء أخرى، ثم فجأة وكأنه يقرأ أفكارى أخبرني وكأنه يطمئننى أن تحليل المادة النووية للجنين الذى وجدوه في جثة أمه عند التشريح أثبت أن الجنين من ابيه شخصيا، لكن الحكمة لم تأخذ بهذا الرأى لطول المدة بعد الوفاة، مما أمكنها من تخفيف العقوبة، قال ذلك وكأنه يفخر بدقة العلم الحديث، وشرف أمه، وحكمة القضاء معا، ولكنه بدا غير نادم على قتلها.

سألته عن إخوته بعد قضاء المدة، فقال إن اثنين سافرا إلى العراق واختفت أخبارهما، والثالث يعمل مبيض محارة في إيطاليا، أما الرابع فقد فاز في قرعة الهجرة إلى أمريكا، مع أنه لا يعرف كلمة انجليزية واحدة.

ولم يخبرني ولم أسأله عن نفسه لكنه أضاف:

أما أنا ، فكما ترى، هذا هو عملي الأساسى.

وافترقنا وأنا أترحم على أبيه،

ولازلت أذكر المرحومة ومرحها الجميل وحبها للحياة.

النص: "حلم 56" اللحن الأساسى

غادرت البيت الكبير الذى ينتظر فيه كل رجل بذاته فلا يعرف أحدا من الآخرين. وشعرت بشئ من الأمان بعد القلق.

غير أن شعور الأمان لم يدم طويلا، فخيّل إلى أن آخرين يتبعوننى، ونظرت خلفى أخذت في الجرى، فرأيت عن بعد جماعة قادمة ملوحة بأيديها في الهواء.

فأوسعت الخطى حتى أخذت في الجرى. ورأيت في الطريق بيتا وكان هناك من يدعوننى فهرعت من فورى إليه ووجدت أهله وكأنهم عائدون من الخارج فهم ينظمون الأشياء ويزيلون عنها الغبار، ولم يدعش أحد لحضوري أمامهم فنظروا لوجهى ودودين في وجوههم وأحاديثهم وابتسامتهم.. ونسيت في تلك اللحظة الزاحفين ورائى.

تقاسيم على اللحن الأساسى

..... رحت أساعدهم في ترتيب البيت وكأني من أهله، وأنا استرق النظر للجميلة الشابة التى تتفجر أنوثة وعدوبة حتى

لاخظت، فخيّل إلى أنها تغمز لي بعينها اليسرى، وتشير إلى حجرة في آخر الطرقة، مضت إليها وهي واثقة أنني سوف أتبعها، دخلت وراءها وبدلاً من أن أجد ما تصورت وجدتني في البيت الكبير الذي أشعرني يوماً بالأمان، لكن أهله تغيروا وحلّ محلهم أولئك الذين كانوا يتبعونني، ويلوحون في الهواء، أو لعلهم يشبهونهم تماماً، مرقت الجميلة فيما بينهم فأوسعوا لها حتى خرجت من باب آخر في نهاية الصالة، لم أجد على وجوههم ما توقعت، لا شك، ولا اتهام، ولا تهديد، ولا شيء،

ومع ذلك لم أطمئن،

وفي نفس الوقت لم أنزعج ...

ما هذه الأجراس التي تدق من بعيد،

نحن لسنا يوم أحد، وأنا لم أتوضأ بعد،

فشعرت أن صلاة الجماعة ستفوتني لا محالة....

ملحوظة: هذه التجربة لم تتضح معالمها بعد، وقد تراجعْتُ عن الدعوة المفتوحة لما تثيره هذه النصوص الفريدة، وسوف نقصّر النشر في هذا الباب على هذه "التقاسيم على اللحن الأساسي" دون غيرها حتى لا تختلط الأوراق، وتفصيل مبررات ذلك في بريد الغد في الرد على د. مدحت منصور، د. أميمة رفعت.